

إصلاح النظم التعليمية تطويرها في سياق التغيير: تطوير المناهج التعليمية كمدخل...

محمد مسعد نوح
أستاذ التعليم العالي
كلية التربية
جامعة الإسكندرية
جمهورية مصر العربية

Abstract:

The issue of reforming the governmental and civil educational systems takes the circle center of the operations and issues of the social change -educational change-. The operation of improving the educational methods, in the Arab states and in the other similar developing states, represents the critical issue in the aimed reformation system. We can say that the scientific and democratic developed society is based on a developed education. So, the relation between education and developing the society is an ascendant function...The essential purpose of this paper is to present an investigation frame about how would be the operation of the educational system reform, and how would be the improvement of the educational methods as a basic introduction to create the social change in the Arab countries. The paper presents also a thought frame for the knowing operations and knowledge, which are a base of the educational systems reform. There are many examples of improving the teaching methods in the context of the social development. This investigating frame reflects a sample of reform thought in the aim of the educational change.

Key words: Educational system, educational reform, society development, teaching methods, social change, Arab society...etc.

الملخص

تحتل قضية إصلاح النظم التربوية -التعليمية الحكومية والمدنية مركز دائرة عمليات وقضايا التغيير المجتمعي -التغيير التربوي-، وتمثل عملية تطوير المناهج التعليمية في الدول العربية وأقرانها من الدول النامية الأخرى -القضية الحرجة critical issues في منظومة الإصلاح المنشود. ويمكن القول إن المجتمع المتقدم ديمقراطياً وعلمياً، ورائه التعليم المتقدم. لذلك، فالعلاقة بين التربية وتنمية المجتمع دالة تزايدية...الهدف الجوهرى من هذه الورقة هو تقديم إطار استقصائي لكيف يمكن أن تكون عملية إصلاح النظم التعليمية، وتطوير المناهج التعليمية مدخلا أساسيا لإحداث التغيير المجتمعي في البلاد العربية. تقدم الورقة إطارا فكريا لعمليات التعرف والمعرفة، التي تستند إليها عمليات إصلاح النظم التعليمية، وثمة أمثلة لتطوير مناهج التعليم في سياق التنمية المجتمعية، إن هذا الإطار الاستقصائي يعكس أمودجا للتفكير الإصلاحى من أجل التغيير التربوي.

الكلمات المفتاحية: النظام التربوي، الإصلاح التربوي، تنمية المجتمع، مناهج التعليم، التغيير المجتمعي، الجمع العربي...الخ.

مقدمة:

تحتل قضية "إصلاح النظم التربوية - التعليمية" **Reform**، الحكومية والمدنية (الأهلية والخاصة)، مركز دارة عمليات قضايا التغيير المجتمعي (التغيير التربوي). وتمثل عملية تطوير المناهج التعليمية - في الدول العربية وأقرانها من الدول النامية الأخرى - القضية الحرجة في منظومة الإصلاح المنشود. يمكن القول إن المجتمع المتقدم، ديمقراطياً وعلمياً، وراءه التعليم المتقدم. لذلك فالعلاقة بين التربية وتنمية المجتمع (كعنصر حيوي في التغيير) دالة تزايدية.

إن التربية هي ممارسات مجتمعية مجسدة لعملية التغيير المجتمعي الفاعل في المجالات السياسية والعقلية الاقتصادية والثقافية التكنولوجية... إن التربية هي مواقف حقيقية - افتراضية بين الفرد والمجتمع. غير أن هذا الأمر يختلف بدرجة كبيرة في الدول النامية، فالتربية فيها هي موقف بين النظام التعليمي الرسمي المتأسس على الرؤية السياسية للدولة - والفرد في المجتمع. إن التربية - والتعليم في الدول النامية مازالت ظاهرة سيكولوجية غير واضحة، وما زالت ظاهرة سياسية استاتيكية في بعض الأحيان، وما زالت جدارتها ضعيفة لقيادة التغيير المجتمعي نحو تلبية الطموحات والآمال أحياناً أخرى.

إن تعظيم الوعي والحس لقيمة وجدارة عمليات الإصلاح الحقيقي للنظم التعليمية المتأسس على فلسفة مجتمعية واضحة و متماسكة واحتياجات وطنية حقيقية، و دساتير قومية للتربية - والتعليم، وقيم واضحة لمناهجه هي نقطة البدء الحقيقية لأي تغيير حقيقي (التغيير الحقيقي). إن التربية - والتعليم في الدول النامية اليوم على محك صلابة وقيمة الأمة، فأجندة الوكالات الأجنبية وأهدافها المستترة تطوير مناهج التعليم في الدول العربية باتت إطاراً لأي حركة إصلاح تعليمي، وبديلاً لأي منظور وطني للتغيير التربوي الوطني (III). إنها أجندة

إصلاح النظم التعليمية، تطويرها في سياق التغير..... أ. د. محمد مسعد نوح

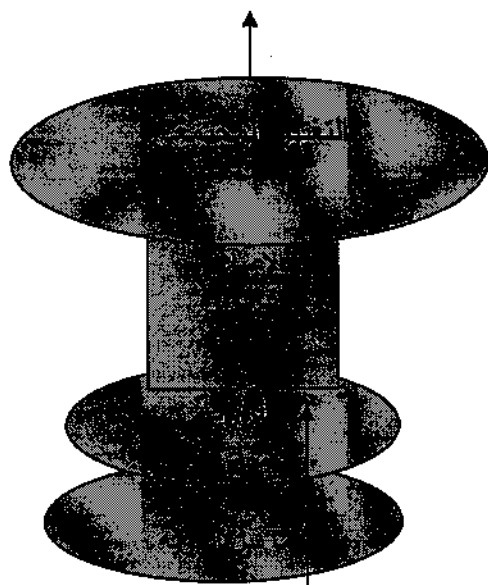
تربوية خاصة لتفكك صلاية التعليم ومقدرة مناهجه، وتسكين فكرة التربية - والتعليم عبر الإعانة. إن الأمر جد، وليس بالهزل. إنها قضية حياة الأمة.

المهدف الجوهري من هذه الورقة هو تقديم إطار استقصاء لكيفية إصلاح النظم التعليمية، وتطوير المناهج التعليمية مدخلا أساسيا لإحداث التغير المجتمعي في البلاد العربية. تقدم الورقة إطارا فكريا لعمليات التعرف **Knowing** والمعرفة التي تستند إليها عمليات إصلاح النظم التعليمية. وتقدم الورقة ثمة أمثلة لتطوير مناهج التعليم في سياق التنمية المجتمعية. إن هذا الإطار الاستقصائي يعكس أنموذجا للتفكير الإصلاحي من التسيير التربوي.

إذا كانت التربية ممارسات مجتمعية ذات مغزى وذات سياق ثقافي وتاريخي وقيمي وتكنولوجي...، فإن مناهجها عقل عملية التغير من الناحية الأعم، ومدخل التنمية المجتمعية، طريق تحكها قدما إلى الأمام... من الناحية الأخص.

أنموذج للتفكير الإصلاحي في التربية ومناهجها:

Rationale: الأساس



شكل 1 يوضح: أنموذج بنائي للتغير

إصلاح النظم التعليمية، تطويرها في سياق التغيير..... أ. د. محمد مسعد نوح

تنتمي حركات التغيير المجتمعي، التربوي والسياسي والثقافي والاقتصادي...،
بعمليات ديناميكية، مستقرة في المجال والعمق أحيانا، ومضطربة أحيانا أخرى. وفي
بعض الأمم تكون حركات متلاحقة وسريعة. بصورة أساسية، تكون تلك الحركة
سياقية مستندة إلى رؤية فكرية واضحة واتجاهات مبدئية. لذلك فإن التطورات
والتغيرات الكبرى، في كل مجتمع، تبدأ من عقل - ووجدان المجتمع ثم تنضج لتغذية
مرة أخرى. إن النقطة الجوهرية في كل تغير هي: كيف نعرف أننا يجب أن نغير؟؟؟،
وكيف نفهم ما يجب أن نغيره؟؟؟.

شبكة النموذج:

• ما قبل البدء في عملية الإصلاح التعليمي Pre - Reform :

(قبل الرؤية Pre - View)

إن المدخل الجوهري - المنطقي لحركة الإصلاح التعليمي هو تحديد الرؤية
الفلسفية للإصلاح والتطوير. إن هذا الأمر منطقي في كل البلدان المتقدمة
والنامية سواء، خاصة ذات الكيانات والمؤسسات والبنى التعليمية المستقرة
والمتماسكة.

. في بعض الدول العربية، أجد أن هناك مرحلة تحتية وقبلية (كمرحلة
مسترة Hidden) تقع تحت مرحلة الرؤية تكون ذات مقدرة وتأثير طبيعية
ومصادقية الإصلاح، أسميها "مرحلة ما قبل الرؤية"، أو مرحلة ما قبل الإصلاح.
إن مرحلة ما قبل الرؤية هذه مرحلة ذات مغزى خاص للدول العربية!!،
وذلك بسبب انغماسها ودورها في حالة "الخطاب اللغوي/المفاهيمي" في المكان
والزمان والقوى الفاعلة، فالكل يعرف ويفهم في التغيير، والكل لا يعرف ولا
يفهم في التغيير، والكل لا يثق في الكل. لذلك فنحن في احتياج إلى مجموعة
استقصاءات للبحث في هوية هذه المرحلة، كما يلي:

إصلاح النظم التعليمية، تطويرها في سياق التغير..... أ.د. محمد سعد نوح

- 1- هل يجب أن نعرف أننا سوف نغير التعليم في بلادنا.
 - 2- ما الأسئلة التي يجب أن نسألها؟ ما الإجابات التي نريدها، يقينية أم افتراضية؟ وما الإجابات الأفضل؟
 - 3- ما القضية، التربية أم التعليم أم كلاهما؟
 - 4- ما القضايا الافتراضية، وما الحاسمة؟ وأيهما أفضل؟
 - 5- ما درجة النمو في الإصلاح التعليمي المطلوبة، وما فرصة النجاح بأيدينا؟
 - 6- هل التغيير التربوي من أجل التوقعات والتغيرات المرتقبة "المحتملة" أم من أجل البناء؟
 - 7- هل المطلوب هو إصلاحات تعليمية نمطية ومتشابهة دولياً، أم إصلاحات ذات هوية؟
 - 8- من يقوم بالإصلاح التعليمي؟ وإلى أي مدى يملك جدارة الثقة؟
 - 9- هل عقدنا العزم، فرداً ومجتمعاً، على الإصلاح التعليمي؟
 - 10- هل الإصلاح التعليمي لعبة متناولة، وإذا كان يرى ذلك، فما هو؟
- إن الإجابة على هذه التساؤلات تمثل لنا أنماطاً متعددة من التعرف **Knowing** التي نقوم بها في البلاد العربية في سياق الخطاب التربوي. لذا، فإن هذه المرحلة تمثل "الحدس المعرفي" **Knowledge-Intuition** الذي يمهّد لعملية بناء الرؤية حول التغيير في النظم التعليمية.

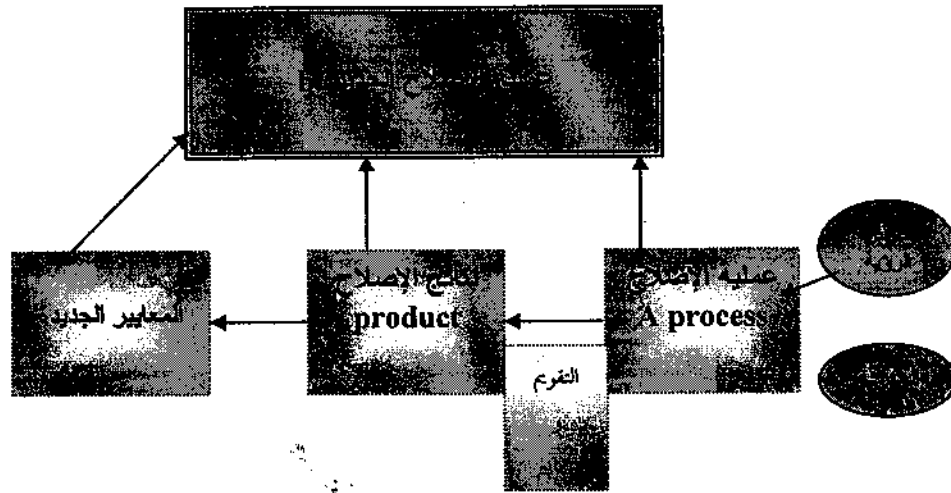
الوظيفة الأساسية لهذه المرحلة هي:

- 1- بناء التعرف الآلي والتلقائي أو الطبيعي حول عملية إصلاح النظم التعليمية.
- 2- استقصاء أنماط الفكر التربوي الطبيعي والمنطقي حول الإصلاح.
- 3- استقصاء موقف: الدولة، والمجتمع المدني، والفرد من عملية الإصلاح التربوي.

4- بناء عمليات مهمة حول طبيعة الإصلاح التربوي، وطبيعة التغيير مثل:

معنى -الإصلاح والتغيير/meaning of meaning of reform./change

5- تجسيد الشعور بالاحتياج الحقيقي للإصلاح والتغيير المجتمعي.



شكل 2 بوضوح: منظور شبكي للإصلاح التعليمي

a- مرحلة الرؤية View

فعملية الإصلاح، هي مرحلة فلسفة العقل Mind Philosoph التي تتأسس عليها عملية الإصلاح التربوي ومن ثم التغيير. في هذه المرحلة نتساءل: ما التغيير -أو الإصلاح التعليمي- الذي ننشده؟، ومن أين؟. إن هذه التساؤلات للمجتمع كله، أي على صعيد المجتمع أو الإنسان العربي. من هذا، نرى أن مرحلة الرؤية الفلسفية للإصلاح التعليمي تختلف عن أسس الإصلاح وقضاياها Issues وسيئاته Contexts، على الرغم من توافر العلاقة بينهما. ولكي لا نفرق في الافتراضات الفلسفية، أحدد رؤيتي للإصلاح التعليمي في الآتي:

إصلاح النظم التعليمية، تطويرها في سياق التغيير..... أ. د. محمد سعد نوح

A # الإصلاح التعليمي من "العقل - إلى المجتمع" < أو؟

B # الإصلاح من " المجتمع - و إلى المجتمع".

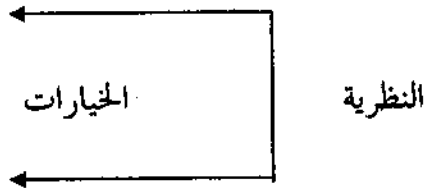
C # الإصلاح التعليمي الشامل من أجل المجتمع For All

D # معايير الإصلاح

E # الإصلاح التعليمي في ضوء: المصادر والاحتياجات الوطنية

"Ressources"

A- من العقل إلى المجتمع: Mind inside-Society



B - : من المجتمع إلى العقل Society-Mind inside

أو

C - : من المجتمع - وإلى العقل - إلى المجتمع..... Society - Mind- Society

يتحدد فضاء وطبيعة الرؤية المقترحة من ثلاثة أبعاد:

1- البعد الأول: النظرية Reform- Theory، وتقدم لنا وصفا منطقيا

لأسلوب التفكير وطبيعته حول عملية الإصلاح التعليمي وموجهاته، ووصف

ماذا يحدث، وكيف .. في هذه الورقة أ طرح مفهومي لنظرية إصلاح النظم

التعليمية في سياق التغيير:

A- نظرية من "العقل - إلى المجتمع المحيط": Mind inside- to Society

(الخيار الأول):

تختص هذه النظرية بالعقل التربوي المركزي (التربية التقليدية) الذي يقوم بعمليات توصيف العمل التربوي على كل المستويات-توصيف المناهج وعمليات التعليم، الإدارة التربوية، التخطيط والمتابعة والتقييم والمحاسبة. إن عمليات مثل: الذاكرة والتقليدية، والعمليات الروتينية، والتعلم التقليدي، والتحصيل الإجرائي، وجدارة الامتحان،... هي معايير وخصائص أساسية للعمل التعليمي. المحافظة على صلابة التعليم التقليدي والتراث هي أهداف أساسية لهذه النظرية. المركزية/المحافظة هي الأساس، حيث يكمن كل التعليم في العقل المركزي -أو النظام الحكومي-.

النتائج العممة:

- 1- التعليم والنظم التعليمية تحت سيطرة الدولة المركزية، وتدني مستوى الديمقراطية.
- 2- التعليم مركزي وتقليدي وصلب.
- 3- المناهج مركزية وتقليدية.
- 4- الاستجابة للإصلاح سلبية أو محدودة.
- 5- المحافظة على تقدير المجتمع للتعليم.
- 6- المحافظة على الماضي والتراث والقيم.
- 7- المحافظة على المعلمين والقيادات.
- 8- قلة الاستجابة للتحديث وحركات التغيير والإصلاح الجديدة.
- 9- وجود مشكلات متعددة بسبب التغيرات المجتمعية والثقافية والتكنولوجية.
- 10- استاتيكية الثقافة أو ضعف حريرتها وتنميتها، وثبوت، أو ضعف معدلات نمو الأمية في المجال والعمق.

B- من المجتمع إلى العقل: Society-Mind Inside الخيار الثاني:

Brent Davis (1996) : Culture Making : The Place of Education >

Jerome Bruner (1999) : Culturalism takes as its first premise that education is not an island, but part of the content of culture.

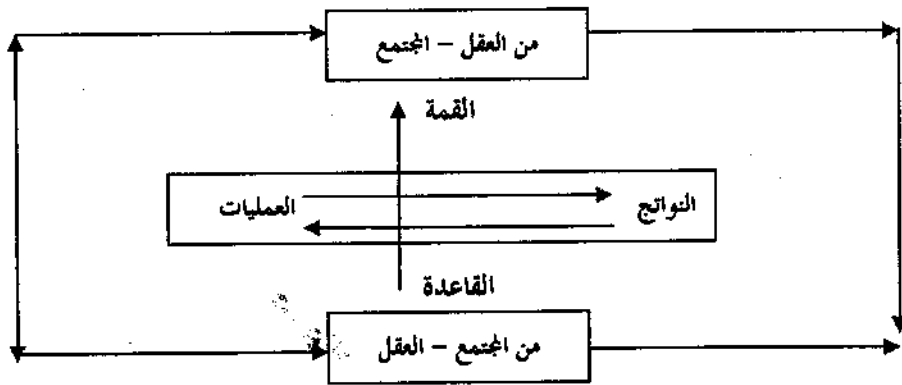
تختص النظرية: من المجتمع إلى العقل: بأن عملية الإصلاح التعليمي تتأسس على المذهب الثقافي-التنويري. وبعبارة أخرى، تنطلق عملية الإصلاح التعليمي من المجتمع ولخدمة المجتمع، وتأخذ معناها من ثقافة المجتمع ولتنمية أيضا ثقافة المجتمع. لذلك نرى أن التعليم وعمليات إصلاحه هو جزء مكمل لثقافة المجتمع. أن عمليات التنوير الثقافية هي موجهات أساسية لعملية إصلاح النظم التعليمية طبقا لهذه النظرية.

النتائج المعجمة:

- 1- التربية-والتعليم ذات مقدرة -شراكة- مجتمعية. التربية في قلب المجتمع.
- 2- التربية والتعليم لا مركزي، وديمقراطي.
- 3- المناهج التعليمية تعاونية ومتحررة.
- 4- الجودة والاعتماد معايير للتعليم والمناهج.
- 5- توصيف معايير للمناهج التعليمية للمنافسة والتنوير.
- 6- المناهج تخدم في الثقافة، لتنمية أنماط متعددة للثقافة مثل الثقافة البيئية والسياسية والعلمية والخلقية والتكنولوجية...
- 7- تعظيم عمليات إنتاج المعرفة والفكر والحرية الفكرية الأكاديمية والإبداع.
- 8- تأسيس الإصلاح على احتياجات ومصادر وطنية حقيقية.
- 9- التنوع والاختيار والمساواة.. منطلقات أساسية.
- 10- حقوق الإنسان، وقضايا المعاصرة موجهات للتنمية.

إصلاح النظر التعليمية، تطويرها في سياق التغير..... أ. د. محمد مسعد نوح

- 11- قلة الاهتمام بالمعرفة الجوهرية الكلاسيكية.
- 12- توجد صعوبات في المحاسبة والتحكم.
- 13- توجد مشكلة في مبدأ تكافؤ الفرص.
- 14- تنشأ مشكلات سيكولوجية وثقافية بسبب قلة الوعي وقلة الخبرة والتحرر.
- 15- الاحتياج إلى التنسيق والتكامل والمفاضلات.



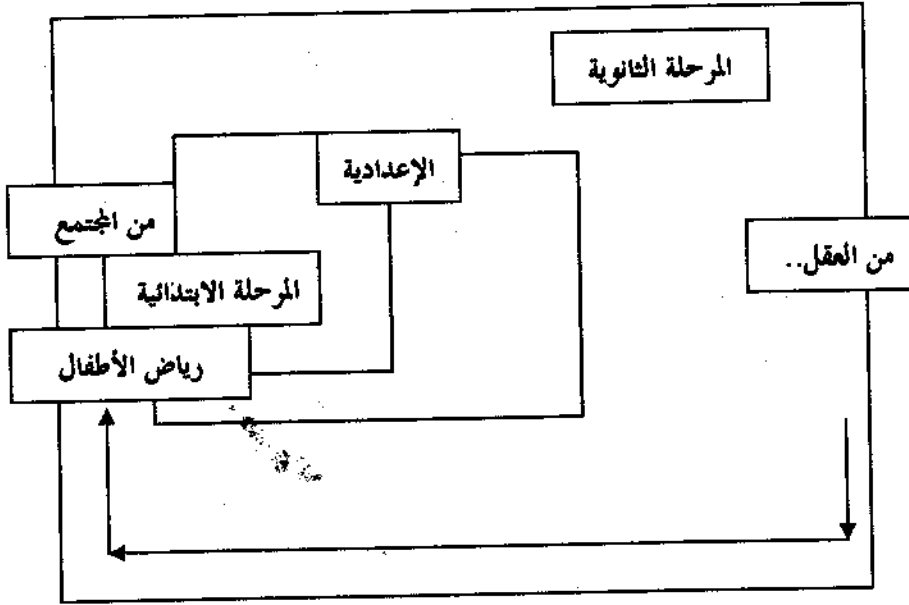
شكل رقم 3: نموذج لنظرية الإصلاح التكاملية.

C- النظرية التكاملية :...من المجتمع - إلى العقل - إلى المجتمع... الخيار المقترح:

طبقاً لطبيعة المراحل التعليمية المختلفة، رياض الأطفال، الابتدائية والإعدادية والثانوية، فإن إصلاح النظم التعليمية يمكن أن يتأسس على نظرية تكاملية بين النظريتين السابقتين (من العقل - المجتمع / من المجتمع - إلى العقل) أو تتأسس على المدخل البيئي لهما. لذلك تكون العلاقة بين النظريتين في المراحل التعليمية حلزونية أو منظومية غير خطية. وبمعنى آخر، أن نقطة البدء هي المجتمع - نقطة الرجوع والانطلاق هي المجتمع.

إصلاح النظم التعليمية، تطويرها في سياق التنوير..... أ. د. محمد سعد نوح

السمة الأساسية لهذه النظرية هو تكامل/تداخل النظرتين عند كل من المجال والعمق بدرجات مختلفة طبقا لطبيعة كل مرحلة والغايات الجوهرية فيها. النموذج التالي يرسم ديناميكية هذه النظرية.



شكل رقم 4: أنموذج للعلاقة بين نظريات الإصلاح ومراحل التعليم

توصفات:

مستوى: من رياض الأطفال - المرحلة الابتدائية

(من المجتمع - إلى العقل - إلى المجتمع)

- 1- المؤسسة التعليمية: متحررة، ديمقراطية (الأسرة + المدرسة).
- 2- المناهج: ديناميكية، تعاونية، متحررة.
- 3- الهدف: بناء ثقافة الأطفال وقيمهم/ تنمية المهارات الأساسية،

الجدارة: بناء ثقافة

مستوى: المرحلة الإعدادية:

من العقل إلى المجتمع

+

من المجتمع إلى العقل

- 1- المؤسسة التعليمية: الشراكة بين المركزية - واللامركزية
- 2- المناهج: نظامية - بنوية.
- 3- الهدف: التعلم البنائي للثقافة والمعرفة.

الجدارة: إثراء عملية البناء والإنتاج

مستوى: المرحلة الثانوية:

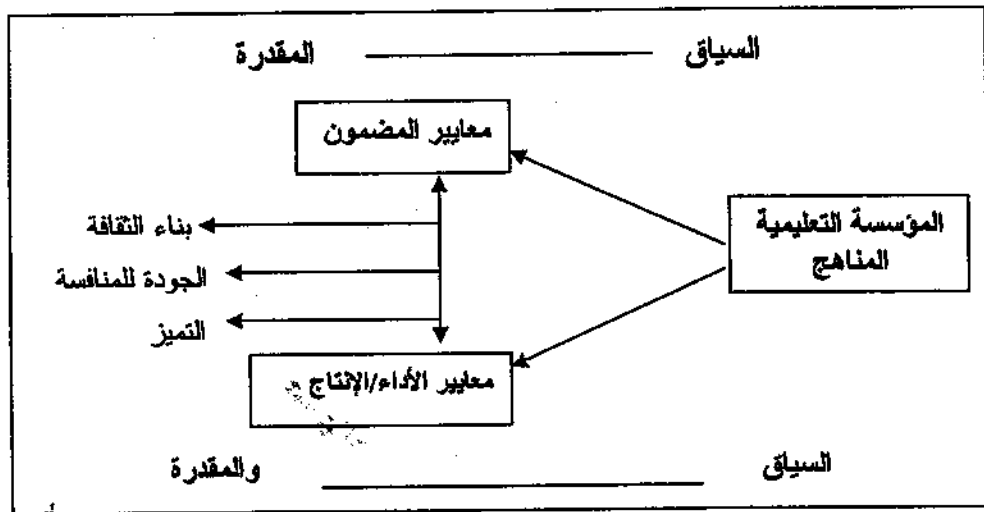
...من العقل - إلى المجتمع...

- 1- المؤسسة التعليمية: مركزية - مرنة (إثراء فكرة الديمقراطية)
- 2- المناهج: نظامية - اختيارية، محورية.
- 3- الهدف: التميز والمنافسة.

الجدارة: التميز الأكاديمي النوعي

- البعد الثاني: D- المعايير Standards -

تتطلب عملية الإصلاح مجموعة معايير لكل من المؤسسة التعليمية، والمناهج التعليمية، وعمليات التواصل، والأداء، والتقويم والمتابعة. المعايير تعنى توصيفات عقلانية معممة لمستويات قياسية متطلبة من أداء - وتميز - وجودة، في ضوء المقدرة الفردية/المجتمعية.



1- ماذا يحتاج المتعلم العربي؟ للثقافة أم الحياد والعمل أو التميز والمنافسة.

2- ماذا يجب أن يعرف المتعلم العربي؟ للثقافة والمعرفة أم الحياة والعمل أم

التميز والمنافسة.

3- ما مقدرة المتعلم العربي، وكيف؟ لبناء الثقافة والمعرفة، أم للعمل، أم

المنافسة.

البعد الثالث: E- المصادر والاحتياجات الوطنية Ressources

تتأسس عملية ولادة الإصلاح التعليمي وتحركه قدما إلى الأمام على مصادر وأدوات بشرية (عقلية- قاعدة بيانات)، مادية /تكنولوجية. في الدول العربية، توجد ثمة إشكالية تتصل بالمصادر والاحتياجات تتعلق بالحدوديات التالية:

*المصادر الفكرية:

1- يجب أن نعرف أن الأمة العربية تمتلك القوي البشرية (التي يمكن أن تكون فاعلة إذا...!).

2- يجب أن نعرف أن الأمة العربية تمتلك المعرفة الموضوعية والتربوية (لكنها ما زالت في حيز التراكمات ولم تصل بعد إلى النظرية التربوية المتماسكة).

3- يجب أن نعرف أن مصادرنا المعرفية ذات سياق أجنبي.

4- يجب أن نعرف أن الأمة العربية تلك "الفكر والإبداع".

*المصادر المادية:

1- يجب أن نعرف أن الأمة العربية تمتلك الامكانيات المادية (لكن...؟!).

2- يوجد حالة من عدم اليقين من جدوى الاستثمارات الوطنية في التعليم الوطني، بينما هناك توجهات متزايدة نحو التعليم الخاص "الاستثماري".

3- ضعف التنسيق أو التكامل بين الإمكانيات المجتمعية، والإمكانيات الفردية الخاصة.

4- تتأسس عملية توفير المصادر والميزات طبقا لحالة التربية في الدولة/المجتمع.

5- الإشكالية المادية ما زالت رؤية ذاتية/سيكولوجية.

6- ضعف المؤسسة المادية الحكومية/الخاصة.

إصلاح النظم التعليمية، تطويرها في سياق التغيير..... أ. د. محمد مسعد نوح

إذن ما الطريق؟.

توفير الإرادة المجتمعية- الفردية للإصلاح التعليمي، على كل المستويات، طبقا لخطة وطنية للتغيير، يتم دعمها وإثراؤها سياسيا واقتصاديا وثقافيا، مع تطوير وابتكار نوافذ مادية لدعم الإصلاح- هو نقطة البدء...

إطار مقترح لولادة إستراتيجية للإصلاح التعليمي

- 1- تغيير موقف الدولة من التعليم والبحث العلمي.
- 2- دعم الابتكار والتفوق في التعليم.
- 3- بناء معايير حقيقية للتقويم والمحاسبة في المؤسسة التعليمية.
- 4- بناء الديمقراطية.
- 5- إعادة إنتاج النجاح والممارسات الفاعلة في المدرسة.
- 6- تدعيم بناء وكالات أو مؤسسات وطنية حقيقية للتغيير التربوي الحقيقي.
- 7- حل مشكلة المعرفة والعلوم التربوية.
- 8- تأسيس نظام تربوي قوي، وسياسات تعليمية واضحة ومستقرة.
- 9- بناء مناهج تعليمية جديدة.
- 10- الثقة في مقدرتنا الذاتية والهوية الوطنية.

إن المهمة الحاسمة هي الإصلاح... والتغيير، والأمل في المجتمع....